من معالم الحضارة في القرآن الكريم

عوامل النصر والهزيمة في سورة الإسراء الكريمة

Landmarks of civilization in the Holy Quran
Factors of victory and defeat in Surat Al-Isra

د.علي عدلاوي
جامعة عمار ثليجي-الأغواط
boukabcha@gmail.com

تاريخ الوصول 16 /2019/10 القبول: 2020/05/02 /النشر على الخط: 2020/06/15
Received: 16/10/2019 / Accepted: 02/05/2020 / Published online : 15/06/2020

الملخص:

لقد فضل الله تعالى بني إسرائيل على العالمين قبل الإسلام، وجعل فيهم النبوة والكتاب، فسادوا الناس جميعا، وظل دينهم اليهودي والمسيحي – لقرون طوال – يقود ويهدي، مع ما اعترى مسارهم الديني التوحيدي من تطرف وتحريف وأنانية.

وقد ذكرت سورة الإسراء – تلميحا وتصريحا – أسباب النصر والهزيمة، لتتأسى بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فتأخذ بعوامل النصر وتتوقى عوامل الهزيمة. وفي هذه المقالة قراءة سننية في ذلك، من خلال ما ورد في سورة الإسراء ، والتي ربطت بين ذكر نبيين كريمين، وهما سيد المخلوقات محمد صلى الله عليه وسلم وسيدنا موسى عليه السلام، وأشارت إلى أمتين عظيمتين هما أمة بني إسرائيل وأمة الإسلام أفضل أمة أخرجت للناس جميعا.

الكلمات المفتاحية: معالم- الحضارة- عوامل- النصر- الهزيمة- السنن- الإسراء.

Abstact:

God favored the Israel people over the worlds before Islam, and make for them prophecy and the holy book, they govern all people their religion remained Jewish and Christian - for centuries throughout - lead and guide, with their unifying religious path of extremism, distortion and selfishness. Holy Surat Al-Isra has mentioned - hint and remark - reasons for victory and defeat, In this article a Sunna reading is include in it, through what is mentioned in Surat Al-Isra, which linked the mention of two holy prophets, They are the master of creatures, Muhammad (peace be upon him) and our master Moses (peace be upon him), She referred to two great nations : the nation of Israel and the nation of Islam ,The best nation taken out for all people.

keywords: Landmarks- civilization- factors- victory- defeat- Sunan- Isra.

مقدمة:

إن المتدبر لكتاب الله تعالى يجد كثيرا من الآيات الكريمة – سيما في المرحلة المكية – تشير إلى نواميس الله تعالى وسننه في الكون والإنسان معا، وترد في حالات كثيرة تذييلا على قصة الصراع بين الحق والباطل، بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. وتلك سنن مطردة، مهما تغير الزمان والمكان والإنسان، فإذا ما توفرت أسبابها ظهر أثرها في الحياة، سواء في الجانب الإيجابي أو السلبي، وسواء تعلقت بموحد أو مشرك، فهي لا تحابي أحدا أبدا.

وقد وردت آيات كثيرة في هذا المضمار، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[الأحزاب: 62].
- ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[فاطر: 43].
- ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[آل عمران: 137].

وقد ندبنا القرآن الكريم إلى فقه تلك السنن لنتدبر أحوال الأمم والحضارات، فنقف على عوامل البناء والهدم، والنصر والهزيمة، والتقدم والتأخر، والعلو والدمار، والرشد والغي..

وإن الهدف من هذا البحث هو تبني الخطة القرآنية في بيان معالم النصر والهزيمة، من أجل استئناف حضاري جديد للأمة الإسلامية التي انحسر ظلها طويلا عن مسرح الحياة والأحياء.

وتعدّ سورة الإسراء واحدة من تلك السور الكريمة التي أشارت إلى عوامل انحسار ظل بني إسرائيل بعد أن سادوا وقادوا، وبضدها تعرف الأشياء، وما أشبه الليلة بالبارحة..وكذا تضمنت توجيهات أخلاقية، وقيما عقدية ومعالم حضارية، تصلح لاستئناف حضاري وقيادي راشد لأمة الإسلام اليوم، فما ملامح تلك السنن الربانية؟ وكيف يمكن استثمارها والإفادة منها؟

المبحث الأول: مفهوم السنن الإلهية وخصائصها

حاجتنا إلى فقه السنن الكونية والبشرية أكيدة وضرورية، لأنه يعلمنا كيف نستثمر الماضي ونعيش الحاضر ونستشرف الغد والمستقبل من منظور قرآني رشيد. يؤكد على ذلك المفكر الإسلامي الطيب برغوث بقوله: " التكاملية المعرفية السننية الشاملة، ضرورة حيوية بالنسبة لحياة الإنسان في ذاته، كما أنها ضرورية بالنسبة له في علاقاته الوجودية الطبيعية والاجتماعية، وفي مهمته الاجتماعية والحضارية في الحياة كذلك، ولذلك فإنه ليس أمامه خيار إلا أن يتجه نحو وعي شروط تحقيق هذه التكاملية المعرفية السننية الشاملة، ويجتهد في تجسيدها في

تطوير وتنمية حياته الذاتية وحياته الاجتماعية والحضارية، وضبط علاقاته الكونية بشكل صحيح غير مصادم لسنن الله سبحانه وتعالى في الكون "[1].

وإن المتأمل في الكتاب الكريم يجد حشدا من النصوص الكريمة التي تذكر تلك السنن، وتطلب منا فقهها واستثمارها لتحقيق مراد الله تعالى.

وقبل أن نستفيض في ذلك يحسن بنا تعريف السنن من حيث اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول: مفهوم السنن الإلهية

1 - **المفهوم الاصطلاحي للسنن:**

- السنن جمع سنة، و السنة هي الطريقة و المثال، يقال: بنوا بيوتهم على سنن واحد.
- و(السنة) الطريقة والسيرة.
- وسنة النبي صلى الله عليه وسلم: ما ينسب إليه من قول أو فعل أو تقرير.
- وفي الاصطلاح الفقهي: العمل المحمود في الدين مما ليس فرضا ولا واجبا[2].
- وقد ورد في الحديث الشريف ذكر للسنة بمعنى الطريقة الهادية المحمودة المتبعة، فعن مالك بن أنس رحمه الله أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا مَسكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ »[3].
- ويقابل لفظ السنة لفظ (البدعة)، وهي التي خالفت ما عليه سلف الأمة.

2 - **مفهوم السنن الإلهية:**

- في تعريف سيد قطب رحمه الله هي: " النواميس التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله الطليقة، وأن ما وقع منها في الماضي يقع في الحاضر إذا أصبحت حال الحاضرين مثل حال السابقين"[4].

---

[1] الطب برغوث، **التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سنني كوني متوازن**، مجلة المعيار، المجلد 20، ع40، ص149.

[2] محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (دت)، ج13،حرف النون، ص226، ج07، حرف السين، ص 280ن 281، مجمع اللغة العربية، **المعجم الوجيز**، شركة الإعلانات الشرقية، دار التحرير للطبع والنشر، جمهورية مصر العربية، سنة النشر 1989م، حرف السين، ص 325.

[3] مالك بن أنس، **الموطأ**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1406هـ-1985م، (كتاب القدر)، رقم: 03، ص899..

[4] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط03، ج01، ص450.

- يقول الأستاذ الطيب برغوث: " ونقصد بالمنظور السنني الكوني هنا الرؤية المعرفية السننية الكونية الكلية المتكاملة لله والإنسان والحياة والكون، ولشبكة القوانين الكونية التي تحكم حركة الإنسان والحياة والكون، وتضبط العلاقات فيما بينها جميعا، وتنتظم الصيرورات الحضارية لحركة الاستخلاف البشري في الأرض، قوة وصعودا وتمكينا، أو ضعفا وتقهقرا وتبعية "[5] .
- ويقول الدكتور رشيد كهوس: " تعتبر السنن الإلهية حقائق ثابتة تقدم لنا تصورا واضحا شموليا وكليا وتفسيرا صحيحا عن الوجود والإنسان والحياة، فهي فقه التاريخ والعمران والاجتماع البشري وعلم النفس الإسلامي، لأنها تبصرنا بطبائع النفوس، وعلل الحضارات، وهي عوامل تشكل المجتمعات وصناعة التاريخ، كما تكشف لنا عن كليات الدين وغاياته الكبرى، وعن منهاج بناء الإنسان الصالح المصلح والأمة الشاهدة "[6] .
- فيما يرى الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه (السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد)[7]، أن السنن الإلهية هي: الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة "[8].

ومنه فالسنن الإلهية هي قوانين مطردة تعمل عملها في المخلوقات كلها وفق إرادة الله تعالى التي لا تتخلف، وتقتضي المماثلة والمناظرة، ولهذَا أَمر الله تعالى في كتابه العزيز بِالاعتبار فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف: 111]. " والاعتبار أَن يقرن الشيءُ بِمِثْله فيعلم أَن حكمه مثل حكمه (..) فإذَا قال تعالى: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[الحشر: 02]. وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾، أَفاد أَن من عمل مثل أَعمالهِم جوزي مثل جزائهم؛ ليحذَر أَن يعمل مثل أعمال الكفار، وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين

---

[5] **التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سنني كوني متوازن**، مرجع سابق، ص157.

[6] مقال بعنوان: **السنن الإلهية علما من علوم الإسلام**، مجلة الداعي، مجلة عربية إسلامية شهرية، تصدر عن الجامعة الإسلامية، ديوبند، يوبي، الهند، ع03، السنة44، نوفمبر 2019م، ص13.

[7] طبع ونشر دار مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط03، 2002م، ص13.

[8] عماد عبد الكريم خصاونة وخضر إبراهيم قـزق، **السنن الإلهية في القرآن الكريم**، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، مجلة علمية متخصصة محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، مجلد 15، ع02، 2009م، ص 207.

أتباع الأنبياء. قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[آل عمران: 137]، فالله تعالى أخبر أن سنته لن تتبدل ولن تتحول"[9].

المطلب الثاني: خصائص السنن الإلهية

تمتاز السنن الإلهية بخصائص ثابتة ومطردة، ليس فيها محاباة لأحد، فمن راعاها حق رعايتها عاش منسجما مع نفسه وغيره، ولقي الله مرضيا، ومن عاكسها وحاول أن يتحداها غلبته، فشقي في الدنيا والآخرة، واصطدم بالفطرة التي خلقه الله عليها.

ومن أهم تلك الخصائص ما يلي:

أولا: لا مجال فيها لإشكال ولا خفاء، بل هي نصوص بيّنة المعالم، واضحة التعاليم وضوح الشمس، صريحة وفصيحة لا يكتنفها لبس ولا غبش. فهي ترشد المرء إلى سبيل الرشاد، وتهدي للتي هي أقوم، وتدل على أصل كل شيء وسننه المتبعة التي جبل عليها، فهي لا تخضع لإرادة البشر، ولا تستحيي من أحد، ولا تحابي أحدا: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾[النساء: 123].

ثانيا: المتدبر للسنن القرآنية يجدها قواعد كلية، مترابطة، متسقة، يربطها خيط رفيع بين الأسباب ومسبباتها، وبين الأعمال ونتائجها، كأنها معادلات رياضية تتحكم في الكون ونواميسه، فكلما حصلت المقدمة حصلت النتيجة: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾[التغابن: 11]، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾[الطلاق: 02]. فيأتي الجزاء في السنن الإلهية من جنس العمل.

ثالثا: تمتاز السنن الإلهية بكونها مطردة متلاحقة على نسق واحد لا تبديل لها ولا تغيير يعتريها: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[النحل: 11]، ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾[الإسراء: 02].

رابعا: تأتي السنن الإلهية مجملة أو مفصلة، وسواء تعلق الأمر بالكليات أو بالجزئيات، فهي كلها ذات طابع شمولي[10].

المبحث الثاني: سورة الإسراء: الخاصية والمحور الرئيس

---

[9] وفاء عبد العظيم عبد الوهاب محمد، **شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في تفسير القرآن الكريم تطبيقا على آيات السنن الربانية**، تقديم: محمد عمارة، دار البشر للثقافة والعلوم، (دب-دت-دط)، ص242.

[10] محمد جابري، **السنن الإلهية**، بحث مقدم لموقع ملتقى أهل التفسير بتاريخ: 2010/11/09م، 01:45سا، ينظر: https://vb.tafsir.net/tafsir23143/#.XaNsBNlua1s، تاريخ التحميل: 2019/10/13م، 20:40سا. (مع تصرف يسير).

ذكر الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في تفسيره[11] القول بأن كل آيات سورة الإسراء مكية، فلها إذن كل خصائص القرآن المكي، الذي يعالج أمور العقيدة (تصحيحا وترسيخا)، والذي يسوق قصص الأمم الغابرة للعبرة والتأسي وفقه ما لحق بهم من الهزيمة، أو ما نالهم من النصر. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل ليلة لما فيها من العبر والعظات، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، والزُّمَرَ "[12]. وكان أصحابه رضي الله عنهم يتعلقون بها كثيرا، فقد جاء في الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال في (سورة الإسراء والكهف ومريم): " إنهن من العِتاق الأُوَل، وهنّ من تِلادِي"[13].

المطلب الأول: بين يدي السورة الكريمة

1 - **أسماؤها:**

أ-الإسراء: وسميت كذلك لورود قصة إسراء النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلا، حيث يقول تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الإسراء: 01].

3 - بنو إسرائيل: لما جاء فيها من ذكر قصة بني إسرائيل وفسادهم وعلوهم، الذين أفضيا بهم إلى التشرد والهزيمة، فقال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[الإسراء: 04].

4 - و" تسمى سورة (سبحان) الذي هو علم للتنزيه فمن أظهر ما يكون فيه، لأن من كان على غاية النزاهة عن كل نقص كان جديرا بأن لا نعبد إلا إياه، وأنه مستغن عن كل ما سواه لكونه متصف بما ذكر "[14].

2 – مناسبة السورة لما قبلها (النحل)

5 - ذكرت سورة النحل أهل السبت من بني إسرائيل في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[النحل: 124]. فنزلت سورة الإسراء لتفصل ذلك،

---

[11] جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد السند حسن يمامة، نشر مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، مصر، 2003م، ج09، ص138.

[12] أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الكبير**، تح: بشار عواد معروف، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1996م، المجلد الخامس (فضائل القرآن-الدعوات)، " باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر "، رقم: 2920، ص41.

[13] " قال ابن الأثير: أراد بالعتاق الأول: السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها من أول ما تعلمه من القرآن. تلادي: أي من أول ما أخذته وتعلمته بمكة. والتالد: المال القديم الذي ولد عندك "، **الدر المنثور**، مصدر سابق، هامش ص 138.

مبينة شريعة بني إسرائيل وشأنهم وما شرع لهم في التوراة. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل "[15].

6 - لما أمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالصبر على أذى المشركين في آخر سورة النحل بقوله الكريم: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ* إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[النحل: 127-128] سلّاه وأظهر شرفه برحلة الإسراء والمعراج، وافتتح سورة الإسراء بذكره فقال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ...﴾.

7 - في سورة النحل ورد ذكر النعم الربانية والآلاء الرحمانية على خلقه، حتى سميت بسورة (النعم)، وفي سورة الإسراء نزل ذكر لتلك النعم الكثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ* هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[النحل: 08-14].

3 - **محور السورة الرئيس:**

كسائر السور المكية، فإن موضوع سورة الإسراء ومحورها الرئيس الذي تدور حولها كل الآيات الكريمة هو العقيدة وأصولها من إثبات أمور التوحيد والرسالة والبعث والجزاء والعقاب..كما تعرضت لقصة بني إسرائيل في حالتي الإصلاح والفساد، لأخذ العبرة من ذلك، بأخذ أسباب الصلاح والنصر، وتوقي عوامل الفساد والهزيمة.

المطلب الثاني: العوامل السننية للنصر والهزيمة في سورة الإسراء

قضت سنة الله تعالى في الكون والإنسان والرسالات أن هناك سننا ثابتة لا تتغير في مسألة أسباب النصر والهزيمة، ودواعي النهوض والسقوط، فمتى تحققت تلك العوامل لحقتها نتائجها مباشرة، إما على الفور أو على التراخي، وقد لوحظ ذلك في كل الدعوات والرسالات السماوية، من لدن آدم عليه السلام وإلى أن تقوم الساعة.

[15] **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص 206، 207، وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر، دمشق، ط10، 1430هـ-2009م، المجلد الثامن (الجزءان 15-16)، ص06.

وقد تتعلق تلك العوامل بالفرد أو بالأمم. فالفرد – مسلما كان أو كافرا – إذا تلبّس بأمر فيه سخط الله تعالى أصابته الهزيمة على مستوى النفس وعلى مستوى الواقع الذي يحياه، وإذا التزم دين الله تعالى عقيدة وشريعة وأخلاقا نال النصر والتمكين.

وكذلك الجماعات والأمم إذا شاعت فيها الرذائل، واستشرى فيها الفساد، حتى غدا ذلك أمرا مألوفا، حلّت عليهم كلمة العذاب، وبدأ منحى سقوطهم الحضاري في الانحدار.

أول ما يلاحظ في هذا الشأن الإشارة إلى لفظ العبودية الذي ورد في أول السورة (عبده)، ثم تكرر أثناء السورة بألفاظ فيها الإفراد والجمع، وقد دل مصطلح العبودية على معان دقيقة، تدعو إلى وجوب الالتزام بأوامر الله تعالى، التي هي أسباب للنصر والتمكين والصلاح، واجتناب نواهيه ومساخطه، التي هي مدعاة للهزيمة والسقوط والفساد.

وإن النظر في سورة الإسراء يمكننا من معرفة واكتشاف صفات (عباد الله) الذين سينصرهم الله تعالى ويمكن لهم في الأرض، والأمر يتعلق بصفات فردية وجماعية:

8 – في أول السورة ذكر لفظ (عبده) إشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا.. ﴾. وهو تعبير يشي بالرضى والتشريف والتمكين لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي نال ذلك نظير صبره على أذى قومه، وكذا على فراق عمه أبي طالب وزوجه خديجة رضي الله عنها (عام الحزن) [16]. يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله: " فكأن كلمة (عبده) هي حيثية الإسراء. أي: أُسْرِي به؛ لأنه صادق العبودية لله، وما دام هو عبده فقد أخلص في عبوديته لربه، فاستحق أنْ يكون له مَيْزة وخصوصية عن غيره، فالإسراء والمعراج عطاء من الله استحقَّه رسوله بما حقّق من عبودية لله "[17].

9 – وذكرت بلفظ (عبدا) إشارة إلى نوح عليه السلام: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[الإسراء: 03].

10 – وذكرت بلفظ (عبادا) في معرض ذكر المؤمنين الذين سيهزمون بني إسرائيل: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾[الإسراء: 05].

---

[16] ينظر: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت 458 هـ)، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تح: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط01، 1988م، ج02، ص 341 وما بعدها.

[17] محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ص8314.

11 – ووردت بصيغة (عباده) الذين أذنبوا فحقت عليهم سنة الهلاك: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾[الإسراء: 17]. والذين علم الله تعالى ما يصلحهم في حالي الغنى والفقر: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[الإسراء: 30]. والذين شهد الله عليهم: ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾[الإسراء: 96].

12 – ووردت بصيغة الأمر (تعبدوا) فعلا مضارعا مقرونا ب (ألاّ): ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء: 23].

13 – وجاءت بلفظ (عبادي) الذين يأمرهم بالقول الحسن: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الإسراء: 53]. والذين حفظهم الله تعالى من كيد الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[الإسراء: 65].

خلق الله تعالى النفس البشرية على الفطرة السوية، وجعل لها سننا تتعلق بها، فمتى التزمت ذلك سعدت في الدنيا والآخرة، فانتصر صاحبها على وساوسها وهواجسها واضطراباتها وشهواتها وشبهاتها...، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾[الشمس: 09]. وقد ذكرت سورة المؤمنون والفرقان وغيرهما صفات المؤمنين وعباد الرحمن– على سبيل المثال – الذين أخذوا بأسباب النصر فنالوا الرضى والنصر والتمكين في الدنيا والآخرة.

وكذا الشأن في سورة الإسراء فقد ذكرت حشدا من الخلال الكريمة، والقيم السامية التي توجب النصر والسيادة والصلاح في الحياة الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة، وذكرت كذلك ما يضادها من رذائل الأخلاق وسفاسفها، التي توقع الهزيمة والخسران بأصحابها في الدارين.

وقد ربط الله تعالى بين أمتين عظيمتين في هذه السورة ، وهما أمة بني إسرائيل، وأمة الإسلام، فإنه " لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبده محمد صلوات الله وسلامه عليه عطف بذكر موسى عبده وكليمه عليه السلام أيضا، فإنه تعالى كثيرا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما السلام وبين ذكر التوراة والقرآن "[18]، وذلك بغرض أخذ العبرة ممن سبق، والحذر مما وقعوا فيه من أسباب الفساد ودواعي الهزيمة وعوامل الفناء والأفول الحضاري.

لقد كانت حياة بني إسرائيل درسا وعظة لمن جاء بعدهم: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف: 111]، سيما لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، الأمة الخاتمة الخيرة، التي أنيطت بها مهمة قيادة البشرية إلى قيام الساعة. فكان لزاما مراعاة الأسباب التي أدت إلى انسحاب بني إسرائيل من قيادة الناس، فلقد فضلهم الله تعالى على العالمين، وجعل فيهم النبوة والكتاب: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى

[18] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط02، 1999م، ج05، ص 45، 46.

الْعَالَمِينَ ﴾[البقرة: 47]، ومع ذلك التفضيل فلم يشفع لهم في هلاكهم وهزيمتهم، وفيه إشارة إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن: احذروا ما وقع لبني إسرائيل، ولا يغرنكم أنكم أفضل الأمم، فإذا تنكبتم الصراط المستقيم، وإن اتبعتم سلفكم الذين انحرفوا عن الحق، وحرفوا دينهم المستقيم من اليهود والنصارى..فسوف تحل بكم الهزيمة، وسينحسر ظل حضارتكم، وهو ما حاق – بالفعل – بأمة الإسلام منذ سقوط الخلافة الإسلامية الراشدة.

المبحث الثالث: أسباب النصر والهزيمة من خلال سورة الإسراء

إن سورة الإسراء ترسم المعالم الهادية لنهوض حضاري جديد، من خلال ما تضمنته من إرشادات هادية، على مستوى الفرد والأمة، ويمكن تصنيفها – كأوامر ونواه – تحت جملة من المعالم الحضارية الراشدة:

المطلب الأول: سنن التمكين

إن المتدبر لسورة الإسراء في معانيها الظاهرة والباطنة يمكنه استشفاف الأسباب المؤدية إلى التمكين والنصر، ومن أظهرها ما يلي:

1 – توحيد الله عز وجل وعدم الشرك به أساس كل حضارة:

تشير إلى ذلك عديد الآيات الكريمة خلال السورة كاملة، بداية من الآية الأولى التي ذكرت العبودية الخالصة لله تعالى وحده في قوله (عبده)، وبعد ذلك مما اشتق منها..وكذلك النهي عن الشريك في الإيمان والطاعة في قوله عز وجل: ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾[الإسراء: 02]، قال الإمام القرطبي: " وكيلا أي شريكا، عن مجاهد. وقيل: كفيلا بأمورهم، حكاه الفراء. وقيل: ربا يتوكلون عليه في أمورهم، قاله الكلبي"[19]. والشرك سبب للخذلان والذم: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴾[الإسراء: 22].

ولا شك أن الظلم نذير بخراب العمران، وزوال الحضارات، ولا ظلم أكبر عند الله تعالى من الشرك: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: 13]. والكفر بالنعم لون من ألوان الظلم كذلك: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[النحل: 112].

وفي بيان أثر العقيدة الإسلامية في بناء الحضارة يقول الدكتور علي محيي الدين القرة داغي: " ويعلم المؤمن أنه خالد بروحه وأعماله وإن بليت الأجساد، وأن الدنيا مزرعة الآخرة، وأنه يجب عليه أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدًا، ولآخرته كأنه يموت غدًا، وبذلك يوازن بين دنياه وآخرته، كما أنه يؤمن بأنه لن ينفعه في الآخرة إلا الأعمال الصالحات الباقيات والصدقات الجاريات، ولذلك لن يترك الدنيا إلا وقد ترك آثارًا طيبة تبقى بعده من العلم

[19] محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م، ط01، ج13، ص17.

والعمارة، لتشهد له في الدنيا والآخرة اقتداء بإبراهيم عليه السلام قدوة الأنبياء حيث دعا ربه فقال: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾[الشعراء: 84]. أي ذكرا حسناً، وفقني لأن أترك آثاراً نافعة طيبة يراها الناس من بعدي فيذكروني بالخير حيث بنى الكعبة المشرفة، والمسجد الأقصى فيذكره جميع المؤمنين".

ثم يبين ما للعقيدة من أثر في نشر العلم بين الناس، حيث لم يبخل به المسلمون حين ترجموه ونقلوه من الأمم الأخرى وزادوا عليهن فيقول:".. ومن هذا المنطلق بذل المسلمون جهودًا كبيرة وأموالا طائلة في ترجمة التراث الإغريقي واليوناني والفارسي والهندي إلى اللغة العربية، حتى يحكي أن المأمون كان يوزن المخطوطة بالذهب، فيدفع في سبيلها ووزنها ذهبا، وكان الخلفاء والأمراء يتباهون بكثرة الكتب في مكتباتهم، حتى إن خزانة الكتب بمصر كانت تحوي كتب (يزدجرد) ملك الفرس "[20].

2 – القرآن الكريم مصدر الهداية والعزة:

في خطبة الوداع أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين، وللذين يأتون بعدهم أنه لا سعادة ولا سيادة للأمة ولا صلاح إلا بالتمسك بالكتاب الكريم والسنة الشريفة، وذلك حين قال: « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا مَسكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ »[21].

ويؤكد ذلك الأمر إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله حين يقرر: " لا يَصْلُحَ آخِرُ هذه الأمة إلاّ بما صَلُحَ به أوّلُها ". يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في شرح هذه الحكمة الذهبية: " فإذا كانت الأمة شاعرة بسوء حالها، جادة في إصلاحه، فما عليها إلا أن تعود إلى كتاب ربها فتحكمه في نفسها، وتحكم به، وتسير على ضوئه، وتعمل بمبادئه وأحكامه، والله يؤيدها ويأخذ بناصرها وهو على كل شيء قدير "[22].

إن تلاوة كتاب الله تعالى وسماعه دواء وشفاء: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا ﴾[الإسراء: 82] ، خاصة في زماننا هذا الذي كثرت فيه الأمراض والعقد النفسية، وانجر عن السحر والعين كثير من الأزمات، التي لم تستطع العيادات النفسية والعصبية وغيرها من المشافي أن تجد لها حلا، والشياطين من الجن والإنس إذا سمعوا القرآن الكريم ولوا وهربوا منهزمين: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ

---

[20] مقال بعنوان: " **دور العقيدة الإسلامية في بناء الحضارة** "، مجلة الإعجاز العلمي، تصدر عن الهيئة العالمية للكتاب والسنة، جدة، السعودية، ع16: https://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/74-Number-XVI/823-The-role-of-the-Islamic-faith-in-building-a-civilization ، تاريخ التحميل: 2019/10/24م، 10:12سا.

[21] سبق تخريجه، هامش ص04.

[22] **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1997م، ج04، ص93.

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾[الإسراء: 45-46].

3 – التضامن الاجتماعي صمام أمان للمجتمع:

وهي مسؤولية الحاكم والمحكوم معا، سيما إذا تعلق الأمر بالفئات الهشة والفقيرة، التي لا تجد سبيلا إلى العيش الكريم، وقد وردت في ذلك هذه التوجيهات الربانية الكريمة[23].

– **بر الوالدين:** ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..﴾.

– **صلة الرحم:** ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾.

– **الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين:** ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾.

– **العطف على الأولاد:** ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾.

ولما كان استئثار فئة قليلة من المجتمع بثروات الأمة خطرا على الأمة، وذريعة لنقمة الفقراء وثورتهم، جاء تشريع الزكاة والصدقات وسائر أنواع البر والرحمة.

ولخطورة ركن الزكاة في المجتمع فقد قوتل عليها أهل الردة زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. يقول الشيخ يوسف القرضاوي: " .. ومن هنا يوجب الله تعالى: خالق الإنسان، وخالق المال، وخالق الكون كله على الأغنياء حقا معلوما في أموالهم، بل في أموال الله التي آتاهم إياها، واستخلفهم عليها، ولا يكتفي الإسلام هنا بمجرد الوعظ والترغيب والترهيب، والدعوة إلى البذل والتصدق، فهذا وحده لا يكفي إذا قست القلوب، وسقمت الضمائر، وضعف الإيمان..ولكنه يضم إلى ذلك تدخل الدولة باسم الشرع، لتأخذ من الأغنياء، وترد على الفقراء، فمن أبى أن يطيع قانون الله، قوتل على ذلك حتى ينقاد للحق طوعا أو كرها "[24].

4 – الأمن الاقتصادي لحصار الفتن:

لا يقل الإرهاب المالي والاقتصادي خطورة عن الإرهاب الأخلاقي والنفسي، بل قطعا كان الفساد المالي ونهب ثروات الأمة أهم أسباب الثورات والفتن، التي تسيل بسببها الدماء، وتسقط بموجبها الأرواح البريئة، وهو ما نلاحظه في ثورات الشعوب العربية اليوم. ولذلك حذر الله تعالى الحكام والمحكومين معا من الفساد المالي فقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[الإسراء: 34-35].

---

[23] سورة الإسراء: من الآية 23 إلى الآية 31.

[24] **مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص 28.

وقد جاء الامتنان بالأمن الغذائي والنفسي لقريش في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[قريش: 04]. يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسير الآية الكريمة: " في الجمع بين إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف، نعمة عظمى لأن الإنسان لا ينعم ولا يسعد إلا بتحصيل النعمتين هاتين معا، إذ لا عيش مع الجوع، ولا أمن مع الخوف، وتكمل النعمة باجتماعهما "[25]. ولذا جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سربِهِ، مُعَافىً فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طعام يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا »[26].

5 – الكرامة الإنسانية من مبادئ الإسلام:

خلق الله تعالى الكون، وجعل فيه الإنسان سيدا، وسخر له كل ما في البر والبحر، ورزقه من الطيبات، وأنعم عليه بنعمة العقل والتمييز: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا ﴾[الإسراء: 70.]. ولم يترك ربنا تعالى بني آدم هملا ولا سدى، بل أرسل إليهم الرسل والأنبياء عليهم السلام ليرشدوهم إلى طريق الحق، وسبيل السعادة في الدارين، وهذه مهمة أمة الإسلام، فهي أمة الشهادة والدعوة، وأمة الحق والعدل، ترعى حقوق الناس جميعا بغض النظر عن دياناتهم وأعراقهم وألوانهم ولغاتهم..

ويحدثنا التاريخ الإسلامي عن نماذج من إكرام الرعايا من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، تنفيذا لأوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين مر على يهودي مسن، يمد يده بالسؤال حزن لذلك، ثم راح إلى بيت المال ليسد حاجته، ثم ليفرض له ولنظرائه عطاء ثابتا يكفيهم مؤونتهم، وهو يقول: " فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم "[27].

6 – مواجهة الباطل وتحدي العوائق..نعم الزاد:

من السنن الثابتة في الرسل والرسالات، والدعوة والدعوات أن الكبراء والطغاة وأصحاب النفوذ لا يقبلون بظهور الحق ونفوذ أهله، فيناصبونهم العداء، ويحاربونهم بشتى الوسائل المادية والمعنوية، ومن هنا جاء الأمر بالثبات والصبر والتسلح بالإيمان الحق، مع الوعد بالنصر وهلاك الظالمين: ﴿ وإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ

---

[25] **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، إشراف بكر بن عبد الله أبي زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، (د.ط)، 1980م، ج09، ص 537- 538.

[26] رواه الإمام البخاري عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري، عن أبيه في **الأدب المفرد**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1375هـ، (باب من أصبح آمنا في سربه)، رقم: 300، ص 84.

[27] القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم(صاحب الإمام أبي حنيفة)، **كتاب الخراج**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1399هـ-1979م، ص126.

مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلا قَلِيلا * سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا ﴾[الإسراء: 77].

وقد حاول فرعون أن يستفز موسى عليه السلام وقومه من قبل، فكانت النتيجة أن ألقاه الله في اليم وهزمه وقومه شر هزيمة: ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾[الإسراء: 103-104]. يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: " ولقد جعل الله هذه سنة جارية لا تتحول، لأن إخراج الرسل كبيرة تستحق التأديب الحاسم. وهذا الكون تصرفه سنن مطردة، لا تتحول أمام اعتبار فردي. وليست المصادفات العابرة هي السائدة في هذا الكون، إنما هي السنن المطردة الثابتة. فلما لم يرد الله أن يأخذ قريشا بعذاب الإبادة كما أخذ المكذبين من قبل – لحكمة علوية – لم يرسل الرسول بالخوارق، ولم يقدر أن يخرجوه عنوة، بل أوحى إليه بالهجرة. ومضت سنة الله في طريقها لا تتحول "[28].

ولمواجهة هذه الصعاب والتغلب عليها جاء الأمر لأصحاب الرسالات والدعوات – خاصة – بالتزود بالصلاة والذكر والقيام والدعاء: ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾[الإسراء: 78-80]. وفي الآيات العشر[29] التي تلي هذا النص تفصيل لتلك التحديات، ومنها مطالبة الكفار لأصحاب الدعوات بالمستحيلات، التي هي من اختصاص الخالق عز وجل، ولذلك ينبغي عدم الالتفات إليها وتجاهلها، وينبغي أن لا تفت في عضد أهل الحق.

7 – **اليقين بنصر الله تعالى أهم شروط النصر:**

إن المشهد اليوم يشبه ما وقع بالأمس، فأهل الحق اليوم مستضعفون أمام قوى الاستكبار العالمي، الذين يملكون ناصية التكنولوجيا، ويهيمنون على البنوك العالمية، ويسيطرون على أراضي وثروات المسلمين إما مباشرة أو بالنيابة، ولابد من العمل والأمل لاسترداد الحقوق المسلوبة، شريطة التمسك بعرى الإيمان، وتوحيد الصفوف، مع اليقين الكامل بوعد الله تعالى بالنصر والتمكين في الأرض، فهاهم المؤمنون يسبّحون الله تعالى ويعظّمونه لمّا نصرهم على أعدائهم فقال عنهم– شاكرا لهم ثباتهم وصبرهم –: ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا* وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾[الإسراء: 108-109].

---

[28] **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، ط32، 2003م، ص2246.

[29] سورة الإسراء: 99-100.

ومن العبر المستفادة من السيرة النبوية الشريفة في هذا المضمار أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج مهاجرا إلى المدينة المنورة بصحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه- وكان المسلمون قلة مستضعفة مطاردة —كان الأمل بنصر الله تعالى يحدوه، واليقين بظهور الحق يملا قلبه، فقال لسراقة بن مالك – بعد أن ساخت قدما أو يدا فرسه إلى الركبتين-: « كَأَنِّي بِكَ قَدْ لَبِسْتَ سُوَارَيْ كِسْرَى ». ..ويدور الزمان دورته، ويتحقق للمسلمين فتح بلاد فارس على يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتتحقق نبوءة وأمل النبي صلى الله عليه وسلم، " فلما أُتي عمر – رضي الله عنه- بسواري كسرى ومنطقه وتاجه دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما، وقال له: ارفع يدك، فقال: الله أكبر والحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي "[30].

وفي غزوة الأحزاب تحيط بالمدينة المنورة الأحزاب المعادية للإسلام، وقد زاد عدد جنودهم على العشرة آلاف مقاتل، ومع ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم- في ثقة المؤمن وإيمان الواثق – : «اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ". ثُمَّ قَالَ : " بِاسْمِ اللَّهِ ". وَضَرَبَ أُخْرَى، فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، فَقَالَ : " اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ". ثُمَّ قَالَ : " بِاسْمِ اللَّهِ ". وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، فَقَالَ : " اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا»[31].

ومن مظاهر اليقين بنصر الله تعالى: الركون إليه، والاعتصام به، واللجوء إليه دوما، بالعبادة والدعاء، فذلك كفيل بنصر المؤمنين والتمكين لدينهم الحق: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِىٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[الإسراء: 110-111].

ومن الدلائل ما أمر الله تعالى به حين قال: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾[الفرقان: 77]. فالدعاء وسيلة لجلب رضى الرب وتوفيقه وتأييده في جميع مجالات الحياة، سيما في مواجهة الأعداء المتربصين والمحتلين. وقد ذكرت سورة الأنفال معركة بدر الفاصلة، وما دار فيها من أحداث جسام، وكان الدعاء فيها من أبرز الأسلحة فقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال: 09-10].

---

[30] أخرجه البيهقي عن الإمام الشافعي، في **السنن الكبرى**، تح: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط03، 2003م، (كتاب: قسم الفيء والغنيمة/ باب: الاختيار في التعجيل بقسمة مال الفيء)، رقم: 13033، ج 06، ص581.

[31] رواه الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنه في **المسند**، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط01، 1999، (مسند البراء بن عازب رضي الله عنه)، رقم: 18694. ج30، ص625.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم – وهو الموعود بالنصر ، يومها – يدعو ويبتهل ويستغيث ربه، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين، وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه:« اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ ». فما زال يهتف بربه مادا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال: 09]... فأمده الله بالملائكة "[32].

المطلب الثاني: سنن الهزيمة

وقد أشارت سورة الإسراء إلى ذلك في ثنايا حديثها عن هلاك الأمم والجماعات، وذكرت أسباب أفول الحضارات التي لم تشفع لها أنها صاحبة رسالة سماوية، حين تنكبت عن سنن الله تعالى في الكون والإنسان ، وقد أشارت إلى زوال ملك بني إسرائيل كدرس وعبرة للمسلمين. ومن بين أظهر تلك الأسباب نذكر ما يلي:

1 – **الفساد والعلو في الأرض مجلبة للهلاك:**

وهذا الذي وقع لبني إسرائيل، فإنهم لما علوا في الأرض وأفسدوا فيها بقتل الأنبياء وتحريف الكتب والاستخفاف بخلق الله وتنكّب صراطه المستقيم..، سلط عليهم رب العزة جبابرة الأرض فساموهم سوء العذاب: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا.. ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾[الإسراء: 04-07]. والكبر والخيلاء من مظاهر الاستعلاء، الذي اختص به رب العزة عز وجل، ولذلك جاء النهي عنه بقوله: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾[الإسراء:37].

ولما كان الترف لون من ألوان الفساد استحق أصحابه – أفرادا وجماعات – الهلاك والبوار: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[الإسراء:16].

ومن لوازم الترف (التبذير)، الذي جعل الله تعالى مقترفيه (إخوانا) للشياطين، الذين وصفهم بالكفر بقوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[الإسراء:26-27].

[32] مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تح: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، الرياض، 2006، (كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزة بدر وإباحة الغنائم)، رقم: 1763، ص843.

2 - **ثنائية الخراب(الفسوق والقتل)**

لطالما اقترنت فاحشة الزنا ولواحقها من السحاق واللواط والانحرافات الأخلاقية بموضوع القتل، وهو ما تعبر عنه بدقة أفلام الأكشن التي يتابعها في أيامنا هاته ملايين المسلمين للأسف الشديد، والتي تذيعها وتمولها حكومات عربية وإسلامية؟ وهذا ما أحدث شرخا عميقا في النسيج الأخلاقي الاجتماعي، فصارت صور المجون والقتل المكرورة أمرا يألفه الصغار والكبار معا، وصارت محاكاتها في الواقع أمرا معتادا ومأنوسا، مع أنها جرائم جاء الإسلام ليحاربها ويقضي عليها.

ومن هنا جاء التحذير الرباني من هاتين الجريمتين البشعتين، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾[الإسراء:45-46].

3 - **فوضى الفتاوى وأثرها في زعزعة الأمن المجتمعي**

من أفتك ما بليت به الأمة داء (التعالم) وتعدد مصادر الفتوى، مما أحدث بلبلة وسط فئات المجتمعات الإسلامية، وإن الجراءة على الفتوى من أخطر الموبقات التي توعد عليها الشارع الحكيم بالعقوبة، ناهيك عما تحدثه من ضغائن وتفكك اجتماعي، ومن أمثلة ذلك الاختلاف حول يومي الصوم والعيد، ولذلك جاء النهي هنا عن مرض التعالم وداء الجرأة على الفتوى بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[الإسراء:36]. وهذه الآية الكريمة من سورة الإسراء تؤكد ما ورد في سورة النحل من النهي عن الفتوى بغير علم: ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾[الإسراء: 116]. وهذا يدخل في علم المناسبة بين السور والآيات الكريمة.

يقول ابن كثير رحمه الله في هذا الشأن: ".. وقد أنكر الله تعالى على من حرم ما أحل الله، أو أحل ما حرم، بمجرد الآراء والأهواء التي لا مستند لها، ولا دليل عليها، ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة، فقال: ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[يونس: 59-60.]. أي: ما ظنهم أن يصنع بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة "[33].

[33] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، **تفسير القرآن العظيم** ، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، 1999م، ج04، ص276.

ويؤكد على هذا المعنى الجلل الإمام الشافعي رحمه الله فيقول: " ليس لأحد أن يقول في شيء حلال ولا حرام إلا من جهة العلم، وجهة العلم ما نص في الكتاب، أو في السنة، أو في الإجماع، أو القياس على هذه الأصول، وما في معناها "[34].

وقد بليت أمة الإسلام اليوم بأناس لا علاقة لهم بالفتوى، ولا يمتلكون شروطها، فيقحمون أنفسهم في كل نازلة بغير علم، خلافا لما كان عليه سلف هذه الأمة الذين كانوا يتورعون عن الفتوى، بل ويتدافعونها بينهم، ومنهم الإمام مالك رحمه الله الذي كان إذا سُئل عن مسألة كأنه واقف بين الجنة والنار. ولما جاءه رجل مسافر يسأله عن أربعين مسألة، أجابه عن خمس مسائل منها فقط، وقال عن البقية: (لا أدري)، فقال الرجل: جئتك من كذا وكذا، وتقول: (لا أدري)، قال: نعم، اركب راحلتك، وقل للناس: سألت مالكًا؟ وقال: (لا أدري)" [35].

4 - **خطر وسائل الإعلام (الإشاعة)**

تلعب وسائل الإعلام دورا خطيرا في صناعة الرأي العام، والتأثير بها على العقل الجمعي، ولذلك سميت (السلطة الرابعة)، وهو أسلوب درج عليه الكبراء والطغاة منذ القدم، فهاهو فرعون يغمز سيدنا موسى عليه السلام فيتهمه بالسحر: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِى إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّى لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾[الإسراء: 101]. بل وهاهم بنو إسرائيل ومنذ عهودهم الأولى، يشيعون عن أنبيائهم ورسلهم ما لا يليق بهم من الصفات المرذولة، ولا يزال أسلوبهم القذر في هذا العصر، الذي تمكنوا فيه من كسب تعاطف الدول والشعوب المغرر بها. وفي سورة الإسراء ذم لأولئك المشركين من كفار قريش الذين ما فتئوا يشيعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكاذيب والأراجيف ليصدوا الناس عن دينه: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا ﴾[الإسراء: 47-48].

وإذا أراد المسلمون اليوم إحراز النصر فلابد من استعمال وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة، وبكل صدق ومصداقية، لرد الشبهات، وبيان الحقائق للعالمين، وذلك عين ما أمر به ربنا عز وجل في قوله الكريم: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾[الإسراء: 53].

خاتمة:

[34] ابن عبد البر،**جامع بيان العلم وفضله**، تح: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي – الدمام، 1994م، (باب معرفة أصول العلم وحقيقته وما الذي يقع عليه اسم العلم والفقه مطلقا)، ص759.

[35] أبو إسحاق الشاطبي، **الموافقات**، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، 2008م، ج05، ص323 وما بعدها.

ظهر لنا من خلال هذا البحث أن هناك سننا في الكون والإنسان لا تحابي أحدا من الخلق، مهما علا كعبه في الحق، فمتى تم مراعاتها والتزامها، أو متى تم تجاهلها أو معارضتها، جاءت نتائجها مباشرة، طال الزمن أم قصر، وقد لاحظنا ذلك في أمتين عظميين، جاء ذكرهما في كتاب الله العزيز، في سورة الإسراء ، والتي تعرضت لحال بني إسرائيل، وما نالهم من المجد والنهوض والعز والنصر حينما التزموا سنة الله ودينه، وما لحقهم من الخزي والذل والهزيمة والسقوط حين عاندوا السنن الكونية، وعصوا الرسل عليهم السلام. وفي ذلك درس وعبرة لمن جاء بعدهم، وخاصة للأمة الخاتمة، أمة الشهادة والسيادة، والتي نالها ما نال بني إسرائيل، في الحالين (النصر والهزيمة).

وفي نهاية هذا البحث نخلص إلى مجموعة من النتائج التي نرى مراعاتها من أهم الضرورات التي يجب تبنيها، على مستوى الفرد والجماعة والأمة برمتها، وذلك من أجل استئناف حضاري جديد، يمكّن الدعاة والقادة من سيادة العالم بكلمة الإسلام:

1 - في كتاب الله تعالى سننا وقوانين ثابتة، تجب مراعاتها، ومنها أسباب النصر والهزيمة.

2 - تشابه الأيام والأحوال (ما أشبه الليلة بالبارحة)، فما تعرض له بنو إسرائيل من أسباب السقوط والنهوض، قد تعرضت له أمة الإسلام خلال تاريخها الممتد من عصر النبوة إلى يومنا هذا.

3 - ضرورة عقد ندوات ومؤتمرات لتدارس حال الأمة الإسلامية، من أجل النهوض بها، بالرجوع إلى علم السنن الإلهية في القرآن الكريم، ومنها ما ورد في سورة الإسراء الكريمة.

4 - وجوب الجمع بين المبادئ والثوابت (الأصالة)، والانفتاح على منافع وفوائد العولمة (المعاصرة).

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم (برواية حفص).**

01 - **كتب التفسير:**

- إبراهيم البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1995م، ج04.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط02، 1999م، ج05.
- محمد الأمين الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، إشراف بكر بن عبد الله أبي زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، (د.ط)، 1980م، ج09.
- إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف مصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، المجلد الرابع (إبراهيم – طه)، 1431هـ-2010م.
- جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد السند حسن يمامة، نشر مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، مصر، 2003م، ج09.

- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط03، ج01.
- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م، ط01، ج13.
- وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر، دمشق، ط10، 1430هـ-2009م، المجلد الثامن (الجزءان 15-16).

02 - **كتب السنة الشريفة:**

- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تح: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط01، 1988م، ج02.
- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، **السنن الكبرى**، تح: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط03، 2003م.
- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الكبير**، تح: بشار عواد معروف، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1996م.
- أحمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط01، 1999.
- مالك بن أنس، **الموطأ**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1406هـ-1985م.
- محمد بن إسماعيل البخاري، **الأدب المفرد**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1375هـ.
- مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تح: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، الرياض، 2006.

03 - **كتب ومقالات عامة:**

- أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، **كتاب الخراج**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1399هـ-1979م.
- ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، تح: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي – الدمام، 1994م.
- أبو إسحاق الشاطبي، **الموافقات**، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، 2008م.
- رشيد كهوس، **السنن الإلهية علما من علوم الإسلام**، مجلة الداعي، مجلة عربية إسلامية شهرية، تصدر عن الجامعة الإسلامية، ديوبند، يوبي، الهند، ع03، السنة44، نوفمبر 2019م.
- الطيب برغوث، **التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سنني كوني متوازن**، مجلة المعيار، المجلد 20، ع40.
- عبد الكريم زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد**، طبع ونشر دار مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط03، 2002.
- علي محيي الدين القرة داغي، **دور العقيدة الإسلامية في بناء الحضارة** "، مجلة الإعجاز العلمي، تصدر عن الهيئة العالمية للكتاب والسنة، جدة، السعودية، ع16: https://www.eajaz.org .
- عماد عبد الكريم خصاونة وخضر إبراهيم قـزق، **السنن الإلهية في القرآن الكريم**، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، مجلة علمية متخصصة محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، مجلد 15، ع02، 2009م.

- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوجيز**، شركة الإعلانات الشرقية، دار التحرير للطبع والنشر، جمهورية مصر العربية، سنة النشر 1989م.
- محمد البشير الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1997م.
- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (دت)، ج13.
- محمد جابري، **السنن الإلهية**، بحث مقدم لموقع ملتقى أهل التفسير بتاريخ: 2010/11/09م، 01:45سا: https://vb.tafsir.net.
- محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان.
- وفاء عبد العظيم عبد الوهاب محمد، **شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في تفسير القرآن الكريم تطبيقا على آيات السنن الربانية**، تقيدم: محمد عمارة، دار البشر للثقافة والعلوم، (دب–دت–دط).
- يوسف القرضاوي، **مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.